

فصل الدين عن علاقات الدول

لم يكن من السهل يوماً في هذا البلد التطرق الى علاقة الدين بالدولة او المجتمع، كما تتجسد مثلاً في مؤتمر القاهرة حول الديموغرافيا والتنمية. ولعل الامر ازداد صعوبة في هذه الايام بالذات، بعد هذه المهرجانات الفريية العجيبة التي اعادتنا الى عصر السحر (هل الفكر العجائبي هو فعلاً ما يحتاج اليه المسيحيون في لبنان للتغلب على "الاحباط"؟). غير ان اتساع مظاهر الخدين وازدياد قدرتهما "الرادعة" لا يمكن ان يمنعا احداً من تسجيل حجم الكوارث الفكرية ومن ثم الاجتماعية التي يقود اليها التسلط الديني المتجدد (والذي لا علاقة له بالايمان ولا باستقامة الدين). وآخر هذه الكوارث، وإن لم تكن افجعها، هي التي نراها تحصل منذ اسابيع حول مؤتمر القاهرة.

ليس الاعتراض الديني على اساليب التنظيم العائلي والحرية الجنسية بالشيء الجديد. بل يشكل هذا الاعتراض، في الجانب الكاثوليكي مثلاً، خبزاً يومياً لكنيسة روما، وإن تكن تسعى منذ سنوات الى التخفيف من صرامة احكامها المتعلقة بالجنس، بضغط من جزء من قاعدتها. ولا يقع العالم البروتستانتى في منأى عن هذه الظاهرة. على نقيض ذلك، تشهد الولايات المتحدة منذ سنوات ردة دينية تركزت في العديد من الولايات حول معارضة الاجماض. في المقابل، كان العالم الاسلامي اكثر سلاسة في تعاطيه مع فكرة التنظيم العائلي، وإن يكن بقي يتعامل بشكل متحجر مع مسألة الحرية الجنسية، ومع مفهوم حرية المرأة بشكل عام. غير ان كل هذا القديم لم يمنع حصول المؤتمرين الاولين للامم المتحدة حول السكان، في بوخارست عام ١٩٧٤ ثم في مكسيكو عام ١٩٨٤. ما الجديد اذا؟ ما الذي حصل في الاعوام العشرة الماضية حتى تفتتح الاعين بهذا الشكل على مؤتمر القاهرة؟ ام تراه كان سبب اتساع المعارضة في اختيار مكان الاجتماع، اي في عاصمة بلد عربي يشهد منذ سنوات ازدياد سطوة المجموعات السياسية ذات الطابع الديني، وسط تساهل رسمي ملحوظ تجاه هذه القوى، على المستويين الاجتماعي والفكري؟

مهما يكن الامر، يبقى ان دول العالم الاسلامي حققت "انجازاً" حين بدت اكثر محافظة من الفاتيكان نفسه، سواء بطريقة مشاركتها في اعمال المؤتمر او من خلال مقاطعتها. وبالمناسبة، لا بد من التساؤل: لماذا قاطع لبنان المؤتمر؟ فسوريا شاركت فيه، وكذلك ايران. ألأن العصر سعودي؟

في طبيعة الحال، لن يكون هناك نفع للمطالبة بفصل الدين عن الدولة في أي من هذه البلدان. فعصر الاوهام ولّى. والحركات السياسية الدينية تعوض عن تخليها عن ثورية ظاهرة بسعيها الى احكام السيطرة على المجتمعات. ولكن أليس من الممكن على الاقل فصل الدين عن علاقات الدول عندما يتصل الامر بحق دنيوي لا جدال فيه: حق البقاء؟

سمير قصير